الفصل الثالث عشر

التربيـــة العقليـــة

تستهدف التربيـــة فى فجر الاسلام تحقيـــق أمرين هامين يتم بهما تنميه العقل وهذان الامران هما : التذكر وتنمية الذكاء ٠

وبعد تقوية التذكر الهدف الاول للقرآن الكريم :

قال تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٠

فالقرآن ليس الكتاب السماوى الأول الذى نزل لهداية الناس وتعليمهم وانما سبقه صحف ورسالات سماوية تعلمها الاباء ونقلوها الى الابناء خلال عملية التربية ومن هذه الصحف والكتب السماوية ما حدثنا عنها « أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبى ادريس ابن سنان عن جده لامه وهب بن منبه » انه قال : قرأت ثلاث وتسعين كتابا مما انزل الله على الانبياء فوجدت فيها أن الكتب التى أنزل الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتابا ، أنزل صحيفتين على آدم بكتابين : صحيفة فى الجنة وصحيفة على جبل لبنان ، وعلى شيث ابن آدم خمســين صــحيفة ، وعلى أخنــوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى نوح صحيفتين : صحيفة قبل الطوفان ، وأخرى بعد الطوفان ، وعلى هود أربعا ، وعلى صــالح صحيفتين ، وعلى ابراهيم عشرين صــحيفة ، وعلى موسى خمسين صحيفة ، وهى الالواح ٠ قال تعالى :

« ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » ٠

« على داود « الزبور » وعلى عيسى « الانجيل » ، وعلى محمد « الذكر »(١)

وبستهدف القرآن الكريم تقوية الذاكرة وتنمية التذكر بحفظ آيات القرآن واستيعاب معانيه وتدبر عظاته ووصاياه ٠ قال تعالى :

« ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ٠

« أئنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عــذاب » (٢) ٠

وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون » (٣) ٠

---

(١) وهب ابن منبه : كتاب الشيجان فى ملوك حمير ـ تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ـ صنعاء ـ الطبعة الثــانية ١٩٧٩ صفحة ٩ ٠

(٢) سورة ص آية ٨

(٣) سورة الانعام آية ١٥٣ ٠

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ، وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » (١) ·

أما تقوية الذكاء وتنميته فهو الهدف الثانى للقرآن الكريم فعن طريق حفظ آيات القرآن وفهم معانيها وتدبر العلم والحكمة فيها ، وما تدعو اليه الآيات من النظر فى الكون والتأمل فى صنع الله والبصر فى النفس البشرية واستنباطها كل ذلك يهدف الى تنمية قدرة الانسان على التأمل والتفكير والتصور والتخيل لما أبدعه القرآن الكريم من مشاهدة وصور فنية عن الغيب والقيامة والجنة والنار ويوم البعث ، كما يستهدف تنمية القدرة على التحليل وادراك العلاقات بين ظواهر الطبيعة وشتى المخلوقات فيها وخلق السموات بغير عمد وجعل الجبال فى الارض اوتادا وتتابع الليل والنهار ليكون الليل لباسا والنهار معاشا والشمس تجرى لمستقر لها . والقمر الذى قدره الله منازل ليكون مواقيت للناس والحج ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون · وخلق الماء والهواء والنار والطين ، وانزال المطر من السماء على الارض فينبت فيها من ألوان الزرع والفاكهة ليتغذى عليها الانسان والحيوان . كل ذلك خلقه الله باتقان وبمقدار وبحسن تدبير ونظام وقوانين الهية تحفظ العلاقة بين جميع مخلوقاته والعناصر التى خلق منها كل نوع فى السموات والارض ·

فالقرآن الكريم يحتوى على كثير من المعطيات العلمية التى تحث المؤمنين على التفكير والتعقل والتدبر فتشتعل جذوة العلم فى قلوبهم وتوقظ الفكر فى عقولهم ويحرك النزعة العلمية والتأمل فى نفوسهم · وسوف نتحدث عن بعض هذه المعطيات بايجاز فيما يلى :

معطيات علمية فى علم الفلك :

يحتوى القرآن الكريم على كثير من التأملات فى السماوات والأرض وما بينهما بالاضافة الى الآيات التى تصف الخلق والكون بشكل خاص فيناك

---

(١) سورة الانعام ١٠٤ ، ١٠٥ ·

حوالى أربعين آية تأتى بايضـــاحات تكميليـــة من هذه المعطيات عن علم الفلك ، وبعض هذه الآيات هى ملاحظة وتاملات فى عظمة الخالق الذى رفع السماء بغـير عمد ورتب ونظـم النجـوم والكواكب ، وتهدف هذه الآيات ببساطة الى جذب الانتباه الى قدرة الخالق دون أن تحتوى على النظريات والقوانين الخاصة بتنظيم العالم السماوى اذ أن ذلك متروك للعقل الانسانى لكى يستنتجه ويصل اليه بما وهبه الله من عقل وحواس ٠

قال تعـــالى :

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لهـا من فروج » (١) ٠

« خلق السموات بغير عمد ترونها » (٢) ٠

« ٠٠٠ ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ٠٠٠ » (٣) ٠

« وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » (٤)

« والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (٥) ٠

« هو الذى جعل الشمس ضـياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » (٦) ٠

« وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحـــر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » (٧) ٠

وقد توصل العقل البشرى الى أن ابتعاد الاجـــرام السماوية على مسافات عظيمة ومتناسبة طرديا مع الكتل نفسها يشكل أساس توازنها ، فكلما تباعدت الاجرام وهنت قوة جذب كل منها للأخرى ، وكلما تقاربت كان لكل منها تأثير على الاخرى تلك حالة القمـر والكرة الارضية فهـو لقربه من الارض يؤثر بقانون الجاذبية على موقع الماء فى البحار ومن هنا جاءت

---

(١) سورة ق آية ٦
(٢) سورة لقمان آية ١٠
(٣) سورة الحج آية ٦٥ ٠
(٤) سورة ابراهيم آية ٣٣ ٠
(٥) سورة يس آية ٣٩
(٦) سورة يونس آية ٥
(٧) سورة الانعام آية ٩٧

ظاهرة العلاقة بين اكتمال القمر بدرا وظاهرة المد والجزر • ان الخضوع لقانون المسافة والتوازن هو الشرط الاساسى لعدم اضطراب الاجرام السماوية •

كما أن انتظام رحلة الاجرام السماوية وحركتها الدائبة التى اشارت لها الآية ٣٣ من سـورة ابراهيم وان المنازل التى تمر بها دورة القمـر الشهرية انما هو تسخير من الله لهذه الكواكب لخدمة البشر حتى يعلموا الحساب ويعدون الايام والشهور والسنين ليحددوا مواقيت زرعهم وحصادهم ويعـرفوا أعمـارهم وتاريخهم وليهتدوا بها فى البر والبحر فى رحلاتهم وتجارتهم وليترفوا على قدرة الله بعقولهم من خلال تأملاتهم فى بديع صنعه •

كما أن الشرح المختصر والمقـارنات العلمية الموجـزة عن طبيعة الاجرام السماوية كما جاءت فى آيات القرآن الكريم نجدها قد جاءت بشكل عام دون تفصيل ودون احتواء لأى عنصر مقارن كان سائدا فى العصر الذى نزل فيه القـرآن •

قال تعـالى :

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » (١) •

وقد حدد القرآن مكان الكواكب فى السـماء الدنيا وأشار الى انهـا مصابيح تهدى البشر بالاضافة الى أنها تحفظ السموات العليا من وصول الشياطين لها اذ جعلها الله رجوما للشياطين أن شياطين الجن يدعون أنهم يسترقون السمع الى حديث الله مع الملائكة وهم قعود فى السـماء الدنيـا وقد خلق الله هذه الكواكب والاجـرام السماوية بعـد انفطـار السـموات عن الارض •

قال تعـالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » (٢) •

« اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت » (٣) •

---

(١) سورة نوح آية ١٥ ، ١٦
(٢) سورة الانبياء آية ٣٠
(٣) سورة الانفطار آية ٢٠١

« وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ... » (١) .

« ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين » (٢) .

« انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » (٣) .

« وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » (٤) .

« ... وعلامات وبالنجم هم يهتدون » (٥) .

والمعطيات العلمية التى اشار لها القرآن الكريم هو ما يعرفه البشر اليوم فى علم الفلك من حيث ان الشمس نجم كبير أو كوكب منير اشار اليه القرآن بكلمة سراجا وينتج عن الاحتراق الداخلى للشمس حرارة شديدة وضوءا على حين أن القمر ليس مضيئا بذاته وانما هو نور ينعكس من ضوء الشمس على القمر .

كما أن النجوم التى جاء ذكرها فى آيات القرآن ثلاثة عشرة مرة فهى تشير الى اجرام سماوية مرئية دون تحديد لطبيعتها وانما ذكر القرآن أهدافها ووظيفتها بالنسبة للبشر والشياطين ، وقد وصف كلمة نجم السماء فى القرآن بكلمة ثاقب أى أنه يلتهب ويحترق وينفذ عبر اشياء واذا قام النجم بوظيفته فى حفظ السماء الأعلى من الشياطين فانه يحترق ليحرقها وحينئذ يصبح شهابا أو نيزك محترق أى أن الشهب والنيازك هى النجوم الثاقبة نتيجة عملية احتراق .

وقد جاء القرآن بمعطيات علمية عجز العقل البشرى أن يتفهمها أو يصل اليها الا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام ، حيث ظل علماء الفلك حتى العصر الحديث يعتقدون أن الشمس ثابتة وأن الكواكب الأخرى تدور حولها ، فى حين ذكر القرآن منذ أربعة عشر قرنا أن الشمس والقمر لكل منهما فلك يدوران فيه وان هذا الدوران الى أجل مسمى عند الله ولا يعلمه الا الله .

---

(١) سورة فصلت آية ١٢
(٢) سورة الملك آية ٥
(٣) سورة الصافات آية ٦ الى ١٠
(٤) سورة الجن آية ٩
(٥) سورة النحل آية ١٦

قال تعـــالى :

« وهو الذى خلق الليـل والنهـار والشمس والقمـــر كل فى فلـك يسبحون » (١) ٠

« لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (٢) ٠

فقد ذكرت هاتان الآيتان دورة كل من الشمس والقمر فى فلك أو فى مدار معين دون تفصيل عن هذا المدار ، وقد كان الاعتقاد سائدا منذ القرن الثانى قبل الميلاد منذ عصر بطليموس وحتى القرن السادس عشر الميلادى فى عصر كوبرنيق ان الشمس هى مركز الكون وأنهـا ثابتة وأن كل الكواكب تدور حولها ، هذا المفهوم الفلكى عن الشمس الذى ظل سـائدا ومنتشرا فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرد به أى ذكر فى القرآن بل ثبت خطؤه بعد نزول القرآن بعدة قرون ، ولم يفهم العلماء طبيعة الشمس ودورانها حول نفسها الا فى العصر الحديث ٠

كما ذكر القرآن الكريم ان دوران الشمس له نهاية وأنها سوف تدور حتى تستقر فى النهاية فى يوم محدد عند الله وميعاد مسمى لديه وقد يكون هذا الميعاد هو موعد الساعة أى يوم القيامة ويوم الحساب ولا يعلم أحد يوم الساعة بل علمها عند الله ولكن أشار القـــرآن الكـريم الى علامات يوم الساعة فقط ٠

قال تعـــالى :

« وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى » (٣) ٠

« والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٤) ٠

أن هذا النظام العلمى للكون وخلق السموات بنظام ومقدار وميـزان ومسافة وقانون هو من خلق الله ، وتغيير هذا النظام الكونى هو من علامات الساعة كماجاء فى قوله تعالى :

« اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا

---

(١) سورة الانبياء آية ٣٣ ٠
(٢) سورة يس آية ٤٠
(٣) سورة الرعد آية ٢ ، وسورة لقمان آية ٢٩ ، وسورة فاطر آية ١٣ ٠ وسورة الزمر آية ٥ ٠
(٤) سورة يس آية ٣٨ ٠

العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ، واذا الصحف نشرت ، واذا السماء كشطت ، واذا الجحيم سعرت ، واذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما احضرت » (١) ٠

« اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت » (٢) ٠

« اذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، واذا الارض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت ، يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » (٣) ٠

« فاذا النجوم طمست ، واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت ، واذا الرسل أقتت ، لأى يوم أجلت ، ليوم الفصل » (٤) ٠

« يسأل أيان يوم القيامة ، فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ أين المفر » (٥) ٠

« اقتربت الساعة ٠ وانشق القمر ٠٠٠ وكل أمر مستقر » (٦) ٠

معطيات علمية عن الحياة على وجه الارض :

تتنوع الآيات الواردة عن الأرض فى القرآن الكريم وهى تدعو جميعها الى أن يتأمل الانسان فى بديع صنع الله وهى تعبر عن أفكار بسيطة يسهل ادراكها على فهم الانسان البسيط وهى من ناحية أخرى تعبر عن تأملات عامة يستطيع الانسان الاكثر ثقافة فى كل زمان ومكان أن يستنبط منها تعاليم وعلوم اذا ما كبد نفسه عناء التأمل والتفكير ٠

قال تعالى :

« الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » (٧) ٠

---

(١) سورة التكوير آية ١ ـ ١٤
(٢) سورة الانفطار آية ١ ـ ٥
(٣) سورة الانشقاق آية ١ ـ ٦
(٤) سورة المرسلات آية ٨ ـ ١٤
(٥) سورة القيامة آية ٦ ـ ١٠
(٦) سورة القمر آية ١ ـ ٣
(٧) سورة البقرة آية ٢٢

« الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى » (١) ٠

وفى كثير من الآيات نرى تأكيدا على أهمية الماء فهو يمثل العنصر الأول الذى يتوقف عليه بقاء الانسان كما أن الآيات تبرز ميزة ثراء الكوكب الأرضى بالماء ٠

معطيات علمية عن دورة الماء والأبحار :

يتبين كثير من الآيات أن الماء الذى هو أساس حياة الانسان والنبات والحيوان انما هو منزل بارادة الله ٠ كما يستنبط أولى الالباب من هذه الآيات الاسباب العلمية لظاهرة سقوط مياه الامطار كما جاء فى

قوله تعالى :

« وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » (٢) ٠

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون » (٣) ٠

وهكذا تبين الآيات أهمية الرياح فى تصريف السحاب وحمله الى بلدة ميتة فتحيا وينبت فيها الزرع والثمار والحصيد ، كما أن الرياح لها وظائف أخرى فهى تقوم بتلقيح الاشجار والنباتات فى مواسم التلقيح ٠
قال تعالى :

« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » (٤) ٠

وليست أية سحابة تكتسب سمة هطول المطر فلابد أن تصل السحابة الى درجة من النضج حتى تسقط منها امطارا وقد اثبت العلم الحديث أن السحاب الخفيف الفاتح اللون لا يسقط مطرا فاذا تآلف فيما بينه وأصبح كثيفا غامقا فيصبح «ركاما» واذا زادت كثافته ونضجه يصبح «مزنا» فيسقط

---

(١) سورة طـه آية ٥٣ ، ٥٤ ٠
(٢) سورة الاعراف آية ٥٧ ٠
(٣) سورة الروم آية ٤٨ ٠
(٤) سورة الحجر آية ٢٢ ٠

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه المراحل من مراحل تكون السحاب الذى ينزل مطرا فى قوله تعالى :

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » (١) ٠

« أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلو لا تشكرون » (٢) ٠

وهذه الآيات القرآنية كما تد لعلى أسس وقوانين العلم الذى وضعه الله وتدل على ربط العلة بالمعلول والعلاقة بين الظاهرة الطبيعية ومسبباتها فانها تدل أيضا على عدالة الله ورحمته فى توزيع مصادر الماء اللازم للحياة على الارض بين سكان الارض جميعا فالمناطق التى ليس بها أنهار عذبة فقد خصها الله بسقوط مياه الامطار بقدر معين ، والتى لا يتوفر فيها الانهار أو الامطار فقد جعل الله الماء فى خزائن لها تحت الارض تخرج على شكل ينابيع ، ونستنبط ذلك من قوله تعالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ٠٠ » (٣) ٠

« قل أرأيتم أن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين » (٤) ٠

« وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون » (٥)٠

بعض معطيات علمية من البحار :

من المعروف علميا أن مياه الانهار تصب فى البحار أو المحيطات وعند المصب يلتقى الماء العذب بالماء المالح ٠ ومن حكمة الله تعالى وقدرته أنه لا يختلط الماء المالح بالماء العذب ٠

قال تعالى :

« وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما

---

(١) سورة النور آية ٤٣ ٠
(٢) سورة الواقعة آية ٦٨ ـ ٧٠
(٣) سورة الزمر آية ٢١ ٠
(٤) سورة الملك آية ٣٠ ٠
(٥) سورة يس آية ٣٤ ٠

برزخا وحجرا محجورا » (١) ٠

« وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها » (٢) ٠

« مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ٠٠٠٠٠ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (٣) ٠

وهناك عدد من السور القرآنية التى تتصل بالمحيطات وبالملاحة فيها وتدعو الى التأمل والتفكير فى دلائل القدرة الالهية ، فالى جانب الثروات المستخرجة من المياه العذبة والمياه المالحة كالأسماك وحلى الملبس من لؤلؤ ومرجان فان البحار تستخدم فى الملاحة كوسيلة من وسائل النقل التجارى ونقل الركاب ، وتلك آية من آيات الله أن تجرى الفلك فى البحر بأمره ، رغم كبر حجمها وثقل وزنها ، ولو أن الانسان توصل بعقله الى نظرية الطفو فوق الماء وتمكن بعلمه أن يصنع البواخر والمراكب كبيرة الحجم التى تسير على الماء بنظام وقانون علمى الا ان لولا ارادة الله ومشيئته لتغرق السفن جميعا رغم دقة الصنع البشرى لها ورغم اتباع القانون العلمى فى تسييرها ٠

قال تعالى :

« ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك آيات لكل صبار شكور » (٤) ٠

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٥)

« وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام » (٦) ٠

« وآية لهم أن حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ، وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون ٠٠٠ » (٧)

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٣ ٠
(٢) سورة فاطر آية ١٢ ٠
(٣) سورة الرحمن آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ٠
(٤) سورة لقمان آية ٣١ ٠
(٥) سورة النحل آية ١٤ ٠
(٦) سورة الرحمن آية ٢٤ ٠
(٧) سورة يس آية ٤١ ، ٤٤ ٠

معطيات علمية أخرى فى مجالات علمية متعددة :

١ ــ فيما يتعلق بالضغط الجوى وأثره على التنفس كلما ارتفع الانسان والذى أبده العلم الحديث بأنه كلما ازداد الارتفاع (فوق جبل أو أى منطقة مرتفعة) كلما زاد الضغط الجوى وأثر ذلك على ضيق التنفس ٠

قال تعـــالى :

« فمن يرد الله أن يهديه ويشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » (١) ٠

٢ ــ فيما يتعلق بظاهرة الرعد البرق والصواعق :

قال تعـــالى :

« هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشـاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » (٢) ٠

٣ ــ التناسل فى عالم النبـات :

قال تعـــالى :

« سبحان الذى خلق الازواج كلهـــا مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » (٣) ٠

« ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ٠٠ »(٤) ٠

وهكذا فان تدبر آيات القرآن والتأمل فى المخلوقات وأدراك العلاقات بينها وربط العلل بالمعلولات والاسباب بالنتـــائج وفهم عظات القصص القرآنى وربطها بالواقع الاجتماعى للمجتمع والانســـان ، كل ذلك يحقق تنمية ذكاء الانسان ويكسبه العقل والحكمة لما فيها من عبرة وعظة لأولى الالباب ٠

قال تعالى : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ٠٠٠ » (٥) ٠

« ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (٦) ٠

---

(١) سورة الانعام آية ١٢٥ ٠
(٢) سورة الرعد آية ١٢ ، ١٣ ٠
(٣) سورة يس آية ٣٦ ٠
(٤) سورة الرعد آية ٣
(٥) سوره يوسف آية ١١١ ٠
(٦) سورة آل عمران آية ٥٨ ٠

٤ - تأملات خاصة بالجماعات الحيوانية والنحل والعناكب والطيور :

قال تعـــالى :

« وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم .. ثم الى ربهم يحشرون » (١) .

« وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسـلكى سـبل ربك ذللا يخـرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شـفاء للنـاس ان فى ذلك لآية لقـوم يتفكرون » (٢) .

« ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (٣) .

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » (٤) .

« وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » (٥) .

وهكذا فان تدبر آيات القرآن والتأمل فى المخلوقات وادراك العلاقات بينها وربط العلل بالمعلولات والاسـباب بالنتائج وفهم عظات القصص القرآنى وربطها بالواقع الاجتماعى للمجتمع والانسـان ، كل ذلك يحقق تنمية ذكاء الانسان ويكسبه العقل والحكمة .

وبذلك فان تنمية العقل والفكر على يد المعلم الاول للمسلمين صلى الله عليه وسلم بهـدف بناء المفاهيم الاسلامية الصحيحة عنـد الانسـان الجاهلى وتحريره من الضلالة والخوف وانما يكون ذلك عن طريق تقوية التذكر وتنمية الذكاء فى اطار القيم الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة .

ويتضح هذان الهدفان الرئيسيان من عملية التعلم فى منهج القـرآن من الآيات الكريمة فى قوله تعالى :

---

(١) سورة الانعام آية ٣٨ .
(٢) سورة النحل آية ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) سورة النحل آية ٧٩ .
(٤) سورة العنكبوت آية ٤١ .
(٥) سورة النحل آية ٦٦ .

« عبس وتولى ، أن جاءه الاعمى ، فما يدريك لعله يذكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى » (١) ٠

« هو الذى بعث فى الاميين رسـولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٢) ٠

وتعتمد التربية الفكرية والعقلية فى منهج القرآن على العقل باعتباره أداة التفكير ، وتعتمد على الفهم باعتباره معيارا للحكم على كثير من القضايا التى أمر بها الله الانسان بالتفكير فيها حتى يتبين الرشد من الغى والحلال من الحرام فيأمر المسلمون بالمعروف وينهاهم عن المنكر فى اطار القيم الاسلامية التى هى الضمان الوحيد لضبط سلوك الفرد اللفظى والمنطقى والحركى ٠ ولذلك فقد احترم الاسلام ذكاء الانسان ، وخاطبه فى كل أمور الحياة والكون والآخرة وخالق هذا الكون على نحو يحقق تنمية ذكاء الانسـان وتقوية ذاكرته وهى أهداف عامة للتربية فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

الأهداف الخاصة للتربية العقلية :

لقد استهدف الرسول عليه الصلاة والسلام من التربية العقلية تحقيق أهداف خاصة تحقق ما يلى :

١ ــ تنمية التفكير والتخلص من الخرافات والشعوذة :

لقد احتفى القرآن الكريم بالعقل وأعماله ونظـر اليه نظرة اجلال وتكريم ، ولذا عملت التربية العقلية على تحرير العقل من أوضاع الجهل والخرافة والأوهـام والجمـود الفكرى وذلك باسـتجلاء الحقائق عن طريق اليقين والمنطق العقلى ، ولذا نهى منهج الاسلام عن استخدام السحر والشعوذة والتنبؤ بعلم الغيب والاعتقاد فى الخرافات اذ أن ذلك لا يعد من الجهل فحسب بل هو الكفر والشرك بعينه ٠ فالغيب هو ما استأثر بعلمه الله عالم الغيب والشهادة ٠

قال تعـالى :

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » (٣) ٠

---

(١) سورة عبس آية ١ ــ ٤ ٠
(٢) سورة الجمعة آية ٢ ٠
(٣) سورة الجن آية ٢٦ ، ٢٧ ٠

وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من أتى عرافا أو ساحرا او كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (١) ٠

ونهى صلى الله عليه وسلم عن التطير حيث قال :

« العيافة (٢) ، والطيرة (٣) ، والطرق (٤) من الجبت » (٥) ٠

وروى البخارى فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا عدوى ولا طيرة ولا صفر وفر من المجروم فرارك من الاسد » ٠

اذا كان العرب فى الجاهلية يعتقدون أن عظام الميت تنقلب هامة تطير ولا تزال تقول اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره ، ويؤيد ذلك قول الشاعر ذى الاصبع العدوانى يهدد عدوا له :

يا عمرو ألا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهـــامة اسقونى

وروى البزار عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » ٠

٢ ـ عدم الأخذ بالظن أو اتبـــاع حكم الهـوى :

تبين **التربية الاسلامية** فى منهج القرآن والسنة ان الوقوف عند مجرد الظن والحدس والتخمين فان ذلك لا يوصل الى الحقيقة ولا يؤدى بالانسان الى العلم ، اذ أن الظن والتخمين اذا أصاب مرة فانه يخطىء عشرات المرات ، أما استخدام العقل فى البحث والتمحيص والاعتماد على الادلة المنطقية والمادية والبراهين العقلية فان ذلك يؤدى بالمرء الى الحقيقة ٠

قال تعـــالى :

« وما يتبع أكثرهم الا ظنا ، أن الظن لا يغنى من الحق شيئا » (٦) ٠

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير ٠
(٢) التكهن بالطير والاعتقاد فى وجود علاقة بين ظهـور الطيور وبين الأحداث المؤلمة والمفرحة للانسان ٠
(٣) التشـاؤم والتفاؤل ٠
(٤) ضرب الحصى والخط فى الرمل ٠
(٥) الشرك بالله رواه ابو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه ٠
(٦) سورة يونس آية ٣٦ ٠

كما أن اتباع حكم الشهوات والغريزة والهوى فى تدبير الامور وتحقيق الرغبات والحكم بين الناس وتسيير أمور الحياة يؤدى الى الفساد والفسق وتدمير الحضارة وانهيار المجتمع ٠

قال تعـــالى :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » (١)٠
«ثم جعلناك على شريعة من الامـــر فاتبعها ولا تتبع أهـواء الذين لا يعلمون » (٢) ٠

وقد بين منهج القرآن فى آياته كيف يصـل العقـل عن طريق الدليل والبرهان المحسوس الى الحقيقة واليقين المجردة فى الحديث الذى دار بين ابراهيم عليه السلام وأبيه آزر وقومه ٠ حيث بدأ عليه السلام ببيان خطأ عبادتهم وكان قومه يعبدون الاصنام والكواكب فأراد أن يرشدهم عن طريق النظر والاستدلال والتدرج من المحسوس الى المجرد ، وفى سيرة البحث عن الاله الحق رأى كوكبا لامعا فى السماء فى الليل فقال هذا ربى ليطمئن القوم اليه فلما غرب الكوكب وانطفأ نوره ويغرب لا يستحق أن يكون الاها ويستمر مع قومه فى البحث عن الاله الحق فيرون القمر بازغا يشتق بنوره ظلمة الليل فيقول معهم هذا ربى ، فلما غاب القمر وبعد عن الانظار ، قال ابراهيم ان الله أن لم يهده سيكون مثل قومه من الكافرين واذا بالشمس تشرق ويملأ نورها الارض فيراها أكبر فى حجمها من القمر فيقول هذا ربى هذا أكبر ، واذا بالشمس تغرب هى الاخرى ، وعندئذ يعلن للقوم أن الكواكب والقمـر والشمس التى ينطفىء نورها بغروبها وبعدها عن الانظـار لا تستحق أن تكون الها وأنه برىء من الشرك بالله ، وأنه لابد ان يكون لهذا الكون اله أكبر من هذه الكواكب لا يغيب عن الانسان لانه معه فى كل مكان وفى كـل وقت وأن هذا الاله هو خالق تلك الكواكب جميعا كما أنه هو خالق الانسان والجن وبقية المخلوقات ولا يجوز اشراك أحد من مخلوقاته معه عز وجل ٠

وهكذا تدرج ابراهيم عليه السلام مع قومه من التخمين الى المنطق العقلى وانتقل بهم من المحسوس المرئى الى المجرد ومن الجزئيات الملموسة الى الكليات الى قضية الوحدانية وعندما ارتقى بعقول قومه من مجرد الظن والتخمين الى الحقيقة والحـق اليقين ووصـل معهم بالحجة والبرهان الى

---

(١) سورة المؤمنين آية ٧١ ٠
(٢) سورة الجاثية آية ١٨ ٠

الوحدانية فانه يقول لهم أنى برىء مما يشركون وأن قلبه ملىء بالايمان وانه يسلم وجهه للذى فطر السماوات والارض والذى بحيط بكل شىء علما وهو بذلك يذكرهم بما كانوا يعلمون بأن الله هو الواحد سبحانه وتعالى عما يشركون (١) ٠

وتهدف التربية العقلية كذلك الى تعويد المسلمين على استخدام العقل عند الحكم على الامور والافراد والاشياء وأن يكون الانسان موضوعيا ومنزها عن حكم الهوى والرأى الشخصى اذ أن اتباع العقل هو اتباع طريق الحق واختبار الرأى قبل الاخذ به فيه ضمان للعدل والصواب ٠ أما اتباع الهوى فانه يضل الفرد عن سواء السبيل ٠

قال تعالى :

« يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » (٢) ٠

« ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله » (٣) ٠

« واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنه هى المأوى » (٤) ٠

٣ - عدم التقليد دون نظر وفكر :

أن مبدأ التقليد فى الافكار والاعمال دون فكر وروية وانتقاء واقتناع عقلى هو أمر مرفوض فى التربية العقلية الاسلامية ٠ اذ أن التقليد دون تدبر أو تفكر ليس طريقا للعلم ولا موصلا له ، وقد شبه الله المقلدين الكافرين بالانعام فهم لا يعقلون ٠

قال تعالى :

« ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمى فهم لا يعقلون (٥) ٠

---

(١) انظر سورة الانعام آية ٧٤ - ٨٠
(٢) سورة ص آية ٢٦ ٠
(٣) سورة القصص آية ٥٠
(٤) سورة النازعات آية ٤٠ ، ٤١ ٠
(٥) سورة البقرة آية ١٧١ ٠

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا • أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (١) •

فالاسلام يرفض قبول العلم دون فكر أو أعمال عقل وينعى على الذين يقلدون آباءهم أو معلميهم أو ساداتهم وحكامهم دون أن يفكروا فيما ينقلونه عن الكبار من قول أو فعل أو عقيدة •

ولذا فان التربية العقلية فى الاسلام وتعليم القرآن يتطلب من الافراد الفهم والتدبر لآيات القرآن القائم على الاستماع الجيد والانصات التام ، ولما كانت التربية العقلية الاسلامية تحث الفرد على النظر والتفكير واستخدام الحواس فى الملاحظة واستخدام القلب فى الاستبصار والتدبر •

قال تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها »(٢)•

فانها تهدف بذلك الى تنمية العقل والفكر •

مفهوم تنمية العقل فى الاسلام :

أن العلم الذى يستقيه الانسان ويحصل عليه من مصادره الالهية فى الكتب السماوية ومن الكون والطبيعة والبيئة المحيطة بالانسان انما يحصل عليه بالوسائل الطبيعية التى وهبها الله لكل انسان وهى السمع والبصر والفؤاد ، وقد ورد ذكر السمع فى كثير من الآيات على أنه من أدوات المعرفة مقرونا بالبصر والفؤاد مما يدل على التكامل بين أدوات المعرفة وأنها جميعا تستخدم للوصول الى العلم •

قال تعالى :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » (٣) •

والفؤاد وهو محل العقل وبالقلب يفقه الانسان ما يبصره من العلوم والمعارف كما جاء فى قوله تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٤) •

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٠ •
(٢) سورة محمد آية ٢٤ •
(٣) سورة النحل آية ٧٨ •
(٤) سورة محمد آية ٢٤ •

« أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » (١) ٠

وقد جاءت السنة بما يؤيد هـذا القول فى العقل ٠ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« العقل نور القلب يفرق بين الحق والباطل » ٠

وبذلك يفهم من القرآن والسنة امرين : **الاول أن العقل علم ٠ والثانى أن العلم محله القلب** والعلم الذى يمس القلب فيستوعبه ثم يتدبره ويفقهه ويتفاعل معه ، انما يتولد عنه انفعال يظهر أثره على سلوك الانسان وفى هذه الحالة فان تأثر السلوك انما هو نتيجة للعقل اى العلم ٠ وتظهر هذه العملية العقلية فيما جاء فى الآية فى قوله تعالى :

« واذا سـمعوا ما أنزل الى الرسـول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ٠٠ » (٢) ٠

اذ تدل هذه الآية أن العملية العقلية التى تمت بفيض من الدمع كسلوك انفعالى تأثرا بما أنزل على الرسول من العلم والمعرفة الالهية سمعته آذان المؤمنين فعرفت قلوبهم أنه الحق فبكت أعينهم ٠ فكان العـلم لا يتأثر به الانسان ولا يفيد منه الا اذا حدث تفاعل بين هذا العلم وبين أدوات المعرفة مكتملة ٠ وكلما ازداد العلم واستقبلته الحواس مكتملة وظهر آثار ذلك على سلوك الفرد فسيولوجيا أو أدائيا فان ذلك يعنى أنه حدث نمو فى العقـل فالتنمية العقلية ومفهومها فى الاسلام تعنى زيادة قدرة القلب على استيعاب العلم والمعرفة وبازدياد نور العلم فى القلب ينمو العقل أو ينمو العلم ٠

وبقدر ما يزداد العلم فى القلب اى بقدر ما ينمو العقل يرتفع الانسان عند ربه فى الآخرة ويرفع درجته فى الدنيا ٠ لان الانسـان على قدر عقله يكون خلقـه ٠

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (٣) ٠

ولذا فان التربية الاسـلامية قد أولت التربية العقلية درجـة كبيرة من الاهتمام ، ومن ثم فان التنمية العقلية واذكاء العقل هو الهـدف الاسمى للقرآن والسنة ٠

روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

---

(١) سورة الحج آية ٤٦ ٠
(٢) سورة المائدة آية ٨٣ ٠
(٣) سورة المجادلة آية ١١ ٠

« أثنى على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله ؟ فقالوا : يا رسول الله أن من عبادته ٠٠ ان من خلقه ٠٠ ان من فضله ٠٠ فقال : كيف عقله ؟ فقالوا يا رسول الله نثنى عليه بالعبادة واصناف الخير ونسألنا عن عقله ، فقال : ان العابد الاحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم » ٠

التربية العقلية عن طريق تزويد الصحابة بالمعارف :

وخلال العملية التعليمية اكتسب الصحابة والمسلمين الكثير من المعلومات والمعارف عن طريق التساؤلات والاجابة عليها ٠ فمن أحاديث الرسول ما كان اجابة على تساؤل الصحابة وطالبى العلم ، اذ روى ابن حيان فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه قال :

« قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم عليه السلام ؟ قال: كانت أمثالا كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ، انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فانى لاأردها وان كانت من كافر ، وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات، ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ٠٠٠ قلت : يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل » ٠

الامانة العلمية هدف التربية فى الاسلام :

لقد اشتملت آيات القرآن على كثير من الحقائق العلمية والقيم السماوية والتشريعات الإلهية التى لا تقبل التغيير أو التبديل أو الالغاء أو التحريف ، أو الايقاف الى أمد معين فى أى ظرف من الظروف ، وأن أى محاولة من هذه المحاولات ما هى الا خروج عن كنه الحقيقة ، واحلال للحرام الذى حرمه الله محل الحلال الذى أمر به وتبديل لكلمات الله وعلمه الذى علمه للانسان ، وغش للمؤمنين ولذا أمر الله المتعلمين والمعلمين والراسخين فى العلم والحكام والقضاة باتباع الامانة العلمية عند نقل الافكار والمعلومات والحقائق

والتشريعات التى أتى بها الدين دون تحريف أو تبديل ، والاعتماد على العلم كما أنزله الله للوصول الى الحقائق والقوانين فى قوله تعالى :

« ولا مبدل لكلمات الله » (١) ٠

« ولا تقف ما ليس لك به علم ٠٠ » (٢) ٠

« والله يحكم لا معقب لحكمه ٠٠ » (٣) ٠

« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » (٤) ٠

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » (٥)٠

« يحرفون الكلم عن مواضعه لأنسوا حظا مما ذكروا به ٠٠٠ » (٦)٠

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ٠٠»(٧)

---

(١) سورة الانعام آية ٣٤
(٢) سورة الاسراء آية ٣٦
(٣) سورة الرعد آية ٤١
(٤) سورة المائدة آية ٤٤
(٥) سورة البقرة آية ٧٩
(٦) سورة المائدة آية ١٣
(٧) سورة النساء آية ١٧١